

بذلك أن لا يغلوا كما غلا الجسمة في تشبيه الله، فهم ينزهونه حين يشبهونه، ويجعلونه فوق ما يشبهه، وهم كذلك يريدون أن لا يغلوا كما غلا المعتزلة في تجريد الله عن كل تجسيم وتشبيه، فالله جلّ وعزّ يُرى ويشاهد في كل شيء، وفي الوقت نفسه هو فوق كل شيء.

وليس كل ما قامت عليه النحلة الكيزانية فكرة التنزيه في التشبيه، فقد قامت على فكرة أخرى أنكرها العماد أيضاً، وهي فكرة القدم في أفعال العباد لا في أفعال الله فحسب، ولعل العماد أنكرها لأنه لم يفهم ما يراد منها، أو لعله فهمها وأنكرها، لأن ابن الكيزاني يخرج بها على المعروف من أن التقديم واحد وهو الله، فلا يصح أن يضاف القدم إلى شيء سواه. غير أن ابن الكيزاني حين يذهب هذا المذهب من قدم أفعال العباد إنما يريد مرتبتها في العلم الإلهي، والعلم الإلهي قديم، فهي على هذا النحو قديمة.

وأنت ترى من ذلك دقّة تفكير ابن الكيزاني وصلته المحققة بالتفكير العقلي، وكان المصريون وغير المصريين يُعجّبون بآرائه، فالتقطى يقول: "له بمصر وسواحل الشام فرق تنتمي إليه في المعتقد وأكثرهم بحوف مصر". ومع ذلك لم يعدم أعداء يقفون في وجهه أثناء حياته وبعد موته، فقد نبش قبره نجم الدين الخبوشاني في عهد صلاح الدين وأخرج منه عظامه وقال: لا تتفق مجاورة زنديق إلى صديق، ويقصد بالصديق الشافعي الذي دفن إلى جواره. وحمل صاحب مرآة الزمان على الخبوشاني، وقال إنه كان كثير الفتن، يكفر الناس بالحق وبالباطل، ثم قال عنه إنه كان يصوم ويفطر على خبز الشعير، فلما مات وجد له ألوف الدنانير، وعقب على ذلك بقوله عن ابن الكيزاني: إنه كان زاهداً عابداً قنوعاً من الدنيا باليسير. ودافع ابن تغري بردي عنه أيضاً فقال: "لا يلتفت لقول الخبوشاني فيه لأنهما أهل عصر واحد، وتهوّر الخبوشاني معروف"، ويقول عنه ابن خلكان "كان زاهداً ورعاً"، ويذكر أنه زار قبره مراراً وأن له ديواناً من